Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سؤال الهوية وسؤال الثقافة. ويعبر الخطاب العائد عن ذلك -كما يكتب حسن خضر- باعتقاده بانتقال سؤال الثقافة الفلسطينية بعد التحولات الأخيرة، من التماهي مع وطن مؤمثل، كما كان الشأن مع العودة إلى حين قريب، إلى الاشتباك مع وطن من لحم ودم، أي من الأيديولوجية والواقع.

هل ستكون إذن علاقة الثقافة بنفسها من أهم العوامل المؤثرة في الهوية، كما يقرر هذا الكاتب، وهو يلح على الصراع بين زمن ثقافة الطوارئ التي تؤبدها السلطة وزمن الحالة الطبيعية الغامضة؟ لقد كانت المشكلة هي تحويل اللاجئين إلى شعب كما يعبر الخطاب العائد مضيفاً أن المشكلة غدت تحويل الشعب إلى كينونة طبيعية، وليس إلى طفل المعجزة، ومن دون الغفلة عن أن نصف الشعب لا يزال لاجئاً، على العكس مما تسوس السلطة.

بعبارة أخرى باتت الهوية هي المشكلة التي يحسمها الخطاب العائد على هذا النحو: "أخيراً لم تعد مشكلة الهوية قائمة، فلا أرى سوى وجوه الفلسطينيين- حسن خضر". فلقد ولّى تفرد الهوية الذي كان المنفى شرطه. لكن غياب التفرد يثقب الهوية بتجديد العلاقة بالهوية الجماعية التي لم تكن موضوعاً للتساؤل. وفي هذا الغياب من الغيظ ما فيه، إذ كان التماهي من بعيد يمكن العائد قبل العودة من التحكم بشروط الانتماء. أما الآن، فالاندغام لا يشعر العائد (المثقف- الكاتب) إلا بثقل هوية الجماعة.

ومع زكريا محمد نرى لذلك تعبيرات أخرى. فمنذ عبور الجسر ألغي الانقسام، وأصبح العائد إنساناً واحداً: "أنا الآن زكريا محمد حاف، وليس زكريا محمد الفلسطيني أو الفلسطيني زكريا محمد". لقد كان العائد يضيع في هوياته: مرة هو الأردني ومرة هو الفلسطيني. والآن فقد (صوفته الحمراء) وزال التفرد. الكل هنا فلسطينيون. لكن المقيم يشخص حالة العائد على هذا النحو: "الكتّاب العائدون لا يريدون أن يندمجوا في الحياة عندنا". والكاتب العائد بدوره يرى في تشخيص المقيم شطباً على ربع قرن هو زمن تكون هذا العائد الذي لن يشطب. ولكي لا يشطب يتدرع بالجماعة، فتغدو القضية شطباً على تجربة نصف الشعب اللاجئ. أما المقيم فلا يقبل العائد إلا بالشطب الفوري على ما مضى. وهكذا يصارع الحاضر الماضي (زمن المنفى) ويصارع الماضي (زمن المنفى وزمن ما قبل المنفى) هذا الحاضر، ويتراجع المستقبل إلى حد الإشارة عند زكريا محمد إلى ابنه الذي عاد أسرع مما عاد هو، وكما لم يعد هو، أو إلى إشارة مريد البرغوثي إلى ابنه تميم الذي سيعيش هنا (الوطن) ذات يوم. وفي صراع